

شخصيات أسيرة الماضي يكشفها الحلم الأميركي

في «لعبة نيوتن» هذا هو الإنسان.. ضعيف، تائه وغريب



الحلم الأميركي خلف سياج الذكورة



دراما تناقش قضايا مهمة، وإن شابتها بعض السلوكيات التي يسعى منتجها بين الفينة والأخرى لتكريسها

تابعا لصاحب سلطة آخر هو بدر، وبعد أن يتورط حازم في قتل شاهين الذي هدم منخله، يخضع تمامًا لسلطة بدر الذي يطلب منه أن يصنع له عسلًا بالأفيون. ومع الأسف تركز هذه الشخصيات أخطاء الماضي، فلا حازم أو هناء يعنيتان بابنهما إبراهيم. بل يتكاتفه في رعاية مربية أجنبية ويأرا أخت هناء. وبدر يمارس وصايقته القاهرة على أمينة خشية أن تهجره مثل ابنه، ونفس الشيء يفعله مؤنس في اعتقاد منه أن يستطيع إصلاح ما أفسده الدهر، وهو ما نراه في تلميحاته لزوجته سارة التي تنشي بانها لم تكن على هذه الصورة التي تبدو عليها كامرأة مسلمة لمخبة وملقمة بتعاليم الإسلام في صرامة.

يطرح المسلسل صورة نمطية لرجل الدين عبر صورة الشيخ مؤنس الليثي (محمد فراج)، فيقدمه على أنه نموذج لرجل الدين المودرن/العصري، الذي يوظف الدين لخدمة أغراضه، فالدين بالنسبة إليه ليس غاية بل وسيلة، فهو بمثابة العصمة التي يحتجى بها ليبر ما يريد الحصول عليه، فيشهر ورقة الدين كحصانة له في كل مواقف الضعيفة، فعبره يقدم حججه المقنعة لهناء بأن الطلاق قد وقع ليبر الزواج منها، وفي الوقت ذاته يقنع سارة (الآه سنان)، بالحقبة في الزواج من هناء، كما يعرض على هناء كحل مؤقت وضروري للخروج من مأزق الطفل أن يكتب الاسم باسمه، في مخالفة صريحة لأحكام الدين التي يلزم غيره بها ويعلن في نفس الوقت أنه ملتزم بها، وأنه في كل ما يفعل لا يخالف أمر الله.

والأبناء، في مشهد حضور الأب ليعطي له النقود، بجملة واحدة دالة "ده آخره" في إشارة إلى أن ما يحكم العلاقة بين الطرفين هو الماديات لا العواطف والمشاعر الصادقة.

وتتمن خلف عواطف مؤنس الجياشة التي ظهرت عند استرداد هناء لابنها في المحكمة، أزمة حرمان من الأم (الراقصة)، التي صورها له الأب بصورة مقبلة، وكأنه بكائه وجد العوض عن أفقاده لقبسة الأم في حياته، وخلف أزمة بدر ابنة هجرته، وكان لهذا تأثيره الكبير على شخصيته، وهو رجل الصناعة المشهود له بالانضباط، تخلى عن هذا كله وانزوى على نفسه، يعيش في حالة روحانية تعويض الآخرين على نحو علاقته بأمينة (عائشة بن أحمد).

هكذا يجمع بين هذه الشخصيات وجود أزمة في التنشئة هي غير مسؤولة عنها، وإن كانت تتحمل إثمها بالإجابة. وهذه الأزمة هي المسؤولة الوحيدة عن ردة الفعل العنيفة التي تعبّر بها هذه الشخصيات، وما يصيها من تحولات وتوهان كما في حالي حازم وهناء. فهناء بعد عودتها من الولايات المتحدة وأثناء زيارة لامها في المستشفى، تسعى لأن تثبت لها نجاحها الذي كانت تنكره الأم من قبل، فتقول لها وهي في غيبوبة لا تسمعها "أنا جيت صاغ سليم، جيت إبراهيم، من بوق (فم) السبع، حافظت على النعمة، قومي يا ماما، شوفي (انظري) حفيدك وباسبوره، مش كنت تقولي لي حالوص (سوف) أتوه. أنا كنت مستنبية (منتظرة) اللحظة اللي أخرج فيها من المطار، وإبراهيم على إيدي والباسبور في إيدي الثانية، عشان أبص (انظر) لك أنت وحازم في عينيك وأقول إني عملتها، مبقتش خايبة (فاشلة) خلاص".

وحازم بعد لحظات تائب الأب له، يهاجمه بضراوة ويقول له إنه هو السبب، ومع هذا - كما يتوهم - لقد نجحت، دون أن يدري أنه هو الآخر في مأزق - في إشارة إلى أن كليهما تائه بعده عن الآخر - وإذا كان هو من قبل صاحب سلطة تخضع له هناء، بغياها يفقد سلطته، بل يصير مقودا/

هكذا اتخذت الشخصيات الواقع عليها الفعل، ردة فعل عنيفة ضد مصدر أو مسبب الفعل، كما يقول القانون الثالث لنيوتن "كل فعل قوة رد فعل، مساوية له في المقدار ومعاكسة له في الاتجاه".

هنا لم تكن ردة فعلها مساوية لقوة فعل حازم، بل فاقتها تأثيرًا، وكانت أشبه بالمطرقة التي نزلت على رأس حازم وجسده الضخمين، فاقتدتهما توازنهما، ومن ثم كانت كل ردا فعله اللاحقة من تأثير ردة فعلها الأول، فبدخل في علاقة مفتوحة مع أمينة صديقة بدر، بل يتمرد على شكله الكلاسيكي، ويسعى للتغيير كلبية، وكان قوة ردة الفعل على نفسه في عمله، واتهامه من قبل والديه بأنه فاشل وعدم محافظته على زوجته الزمته تغييرًا جذريًا.

ومع هذا فقد ظل كل منهما يتنجد إلى مصدر القرض/العسل؛ هي يرفضها إقامة علاقة مع مؤنس، حتى مع حصولها على ورقة الطلاق التي أخفت استلامها عنه، وكذلك في لحظة انهيارها أثناء استلامها الورقة. وهو بمراوغته برفض تطليقها وانسحابه من كل موعد لحدوث الطلاق، ولهفته عليها بعد عودتها إليه في منتصف الليل بملابس النوم من عند مؤنس لأذنه به.

شبح الماضي

تُكمن وراء سوابق الماضي وأزماته وراء توتر علاقة الشخصيات مع بعضها البعض. فقد عانت الشخصيات من إهمال وحرمان، وكذلك من قهر معنوي مارسته الأسرة التي لم تكن لها سندا، بل كانت حملا ثقيلًا.

خلف شخصية حازم المتسلط والذي يمارس عنفًا ماديًا (بالطلاق) ولفظيًا (بالإهانات التي تتكرر في كل أحاديثه لهناء ولؤنس) أب مُخبط له، دائمًا يضعه في مقارنة بينه وبين أخيه، يعتبره فاشلا مقارنة بأخيه الأصغر، وهو ما كان له تأثيره على حياته، فيطرد من البنك الذي يعمل فيه، ويمارس أزمته بالإزاحة على زوجته. وربما كانت شخصية بيح زي (أدهم الشرفاوي) أكثر من لخص العلاقة الجدلية بين الآباء

بتهديتها بالطلاق وهو ما يحدث، حيث ترفض المستشفى منحها الطفل خوفًا على سلامته.

مع هذه الحادثة غير المتوقعة (الطلاق الشفهي) تنقلب أحداث المسلسل رأسًا على عقب، فبدل بناء الإطوار الدرامي في صلب الإشكالية التي بُني عليها، وهي الإشكالية المتعلقة بالطلاق الشفهي والرد الغيابي، هل هو نافذ للوجوب أم لا يُعد به؟ علاوة على مأزق الطفل الوليد ومحاوله استرداد، وهو الأمر الذي يبرز بالبطله في فخ سلطة آخر، وكان قدرها الانفصال عن سلطة مُكبّلة، للوقوع في براثن أخرى مقيدة، جاءت هذه المرة في صورة الشيخ مؤنس الليثي (محمد فراج)، وهو محام دولي ورجل أعمال مصري ومسؤول عن الجالية المصرية هناك، في البداية يلوذ به حازم للبحث بتبديل نظرتة إليها.

مع الخط الدرامي لحكاية هناء وحازم تفتتح أحداث المسلسل على خطوط متوازنة، وتتشابك الحكاية الأصلية (هناء - حازم) مع حكايات فرعية تتوزع في شبكة من العلاقات تجمع بين مؤنس - حازم، حازم - بدر، أمينة - بدر، أمينة - حازم، سارة - مؤنس، وهو ما أدى في الغالب إلى توهان الخط الأصلي من الحكاية إلى حكايات تبدو ملغزة في كثير منها، هكذا تتشابك الشخصيات بحكايات تتفرع عن الحكاية الأصلية، وإن كان الطرفان الأساسيان (حازم - هناء) بمثابة المشترك الأساسي في جميع الحكايات عن طريق حضور تأثيرهما (بالإيجاب أو السلب) على جميع الشخصيات الأخرى. وإن كان ثمة مشترك آخر يتمثل في أن كل شخصية من هذه الشخصيات المحورية: حازم، بدر، ومؤنس تقبع خلفها أزمة مستترة، هي التي تدفع به إلى هذا المسار المعقد، وهو ما تكشف عنه أحداث المسلسل تبعًا.

مطرقة نيوتن

استطاعت هناء مع قرار عدم عودتها مع أعضاء الوفد أن تتحرر فعلا من قيود حازم، وتنقلت من قوة جذب مغناطيسه، وبالفعل حققت القانون الأول لنيوتن "الجسم الساكن يبقى ساكنًا، والجسم المتحرك يبقى متحركًا، ما لم تؤثر عليه قوى ما"، فكان ضغط حازم (كقوى مؤثرة) بتذكيرها دومًا بانها فاشلة وغير قادرة على القيام بشئ، بمثابة القوى (الفعل) التي أثرت على الجسم الساكن/هناء، والراضخ لسلطة الجسم المتحرك/حازم، الذي يدبر الأمور وفقًا لمنظوره الذكوري المتسلط، دون الاعتبار لأنها شريكة معه، فالعلاقة قائمة بينهما على شراكة فعلية بالزواج والعمل.

وبالمثل تضرر ابنة بدر منه كان بمغناطيسه القوى التي هزت كيان رجل الصناعة، وأثرت على الجسم المتحرك وتحولت إلى السكون والروحانية التي بدا عليها بدر (سيد رجب).

كانت الدراما المصرية في عهدها الذهبي إحدى القوي الناعمة التي ساهمت في نشر الكثير من الأفكار، كما اضطلعت أيضًا بدور مهم في تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالهوية والمواطنة والتسامح الديني والتطرف وجذوره على نحو ما فعلت مسلسلات "أرابيسك" و"بوابة الحلواني" و"العائلة" و"ليالي الحلمية" و"قهوة الموردي" وغيرها من أعمال حفرت في وجدان الشارع العربي علامات مهمة. لكن المسلسلات الجديدة حادت عن ذلك الطريق.

ممدوح فراج النايب
كاتب مصري

لو نظرنا إلى ما قدم من مسلسلات هذا العام لوجدنا أن منتجي الدراما يغردون بعيدًا عن الواقع وقضاياه المتشابكة،

يثيرون قضايا لا تحدث إلا في مخيلاتهم وحدهم، ينسجون حكايات عن مجتمعات الكوميوندا، وقصص التوجيه المعنوي بعيدة عن القضايا الشائكة التي يعج بها المجتمع.

تناولت بعض الأعمال حكايات أبناء الأثرياء الذين لا هم لهم إلا الإيقاع وفتيات أبناء البسطاء، والعدالة لا تتم وفق مسارها الطبيعي، وإنما بالاعيب وحيل المحامين والبلطجة، أما الحارة المصرية التي كانت هي مثار الإصالة والفخر والمثال النادر في الحفاظ عن القيم والعادات المصرية، صارت نموذجًا صارخًا للحنف والبلطجة، وإثارة الشقاق وخرق المحرمات والقيم، هكذا قدمت الدراما صورة مشوهة عن واقعنا وعن كثير من المهن التي ننظر إليها باحترام، حتى تلك التي تتشابك مع الواقع كانت على مسافة بعيدة منه، أخذت شكله الخارجي وسافة الخوض في روحه وتفاصيله وقضاياه.

شغلت هذه القيمة تفكير المشاهدين منذ الحلقات الأولى من المسلسل، وبدأت المشاركات التفاعلية بين المحتوى الدرامي والمتلقيين عبر وسائل التواصل الاجتماعي في نسج حلول للخروج من هذا المأزق، وتخيّل حيل الزوج للحاق بزوجته التي لا يثق فيها، وكيف ستواجه المجتمع الجديد، وهي بعيدة عنه لغة وثقافة، وما مدى قدرتها على حل المشكلات العويصة، وهي التي فشلت من قبل في فتح باب الحمام، في أحد المشاهد التي أرادت أن تظهر سلطوية الزوج، في مقابل ضعف/عجز الزوجة، وهو ما كان يسمح له باستغلالها وتقرّيبها، وهو ما يسعى لتأكيد بمبايعتها أثناء عبورها من المطار، وتوجيهاته لها بماذا يجب أن تفعل، وهو ما كان يعرضها لأزمة استخدام الهاتف أثناء إنهاء إجراءات الوصول.

تقرر هناء في أول تحدٍ حقيقي للزوج للخروج عن الدائرة الذكورية المسيجة التي وضعها فيها استكمال ما اتوته، فتتخلف عن رحلة العودة مع الوفد، ثم ترفض كل محاولات الضغط والتهديد من الزوج بالرجوع قبل الولادة. وهنا يضعنا منتج المسلسل في حالة ترقب واختبار للزوجة، وتساؤلات من قبيل: هل سنتجح وتمرد وتصيح مثل نورا بطلة مسرحية "بيت الدمية" لإيسن؟ أم أنها ستقتل ومن ثم تستحق هذه الوصايا الذكورية؟ وبالتالي اللوم والتائب على الخروج من جنة الذكورية؟

بقدر ما استطاعت الزوجة أن تثبت للزوج متعدهم الثقة بها أنها قادرة على الانفصال عنه والاعتماد على نفسها، وهو الأمر الذي منحها ثقة - نوعًا ما - جعلتها ترفض إلحاحه المتواصل بالرد على اتصالاته ورسائله، وقدرتها على الخوض في تجربة العيش وحيدة في مجتمع غريب عنها، وقد نجحت بالفعل على الرغم مما انتابها من مضايقات وسرقة وغيرها، ومع هذا كله إلا أنها تعود إلى المربع صفر، فتضيق الطفل الوليد (إبراهيم) منها بعدما ظهرت الأم بصورة المضطربة نفسيًا وهي في حالة هلع وخوف بعد الولادة ناتجة عن ضغوطات الوحدة والاعتماد على الذات، علاوة على إكراهات الزوج

ثمة قلة من الأعمال الدرامية غردت خارج السرب، وطرح صناعتها قضايا جادة وإشكالية، والأهم أنها استطاعت أن تحجز لها موقعًا متميزًا لدى المشاهدين. ومن هذه الأعمال مسلسل "لعبة نيوتن" للمخرج تامر محسن الذي انفراد في سياق موسم دراما رمضان 2021 بنسبة مشاهدة عالية لم تتوقف على المشاهدة فقط، بل وإثارة الجدل باستمالة الجمهور مع نهاية كل حلقة.

الحلم الأميركي

ثمة قلة من الأعمال الدرامية غردت خارج السرب، وطرح صناعتها قضايا جادة وإشكالية، والأهم أنها استطاعت أن تحجز لها موقعًا متميزًا لدى المشاهدين. ومن هذه الأعمال مسلسل "لعبة نيوتن" للمخرج تامر محسن الذي انفراد في سياق موسم دراما رمضان 2021 بنسبة مشاهدة عالية لم تتوقف على المشاهدة فقط، بل وإثارة الجدل باستمالة الجمهور مع نهاية كل حلقة.

منتجو المسلسل

يتجاوزون فكرة الحلم الأميركي بحصول الزوجين على الجنسية إلى الرغبة في منحها لابنهما القادم

مسلسل لعبة نيوتن شارك في كتابته تامر محسن كمؤلف وصاحب القصة، مع مها الوزير بالسيناريو والإشراف على فريق الكتابة الذي يضم عمار صبري وسمر عبدالناصر ومحمد الشخبي، في تكرار لتجربة ورش الكتابة التي تسم الكثير من مسلسلات هذا العام مثل مسلسل "خلي بالك من زيزي" و"الطاووس" وغيرها.

منذ الحلقة الأولى للمسلسل وضعنا المخرج وفريقه اسام هاجس الحلم الأميركي عبر رغبة الزوجين هناء (منى زكي) وحازم (محمد ممدوح) في أن يولد ابنهما القادم - وهو الذي حصل عليه بعد عشاء وإجراء عملية تلقيح صناعي - في الولايات المتحدة وأن يحصل على الباسبور الأخضر. وقد تهيأت الفرصة لهما مع ذهاب الزوجة إلى الولايات المتحدة للمشاركة في مؤتمر زراعي برفقة



شخصيات تعاني من أزمة في التنشئة